

من لقاءة المحاضرات

منطلقات جديدة لحركة إحياء تراثنا المخطوط

□□ التراث الإسلامي المخطوط .. المبعثر في انحاء العالم .. كيف نقوم - متعاونين متضافرين - بمشروعات محددة من أجل الحفاظ عليه ، وتسجيله ، وتقريبه للدارسين والباحثين والمحققين ؟
حول هذه القضية الهامة .. كانت محاضرة الدكتور ناصر الدين الأسد ، التي القاها في جامعة قطر .. □□

تراث إنساني عالمي ..

● استهل الدكتور ناصر الدين الأسد بعرض وجهة نظره حول أهم ميزة من مميزات تراثنا المخطوط .. فقال :
— إن المخطوطات العربية المبعثرة في انحاء العالم .. في المكتبات العامة والخاصة ، في المتاحف والمساجد والأديرة .. هي تراث إنساني وذخيرة عالمية .. من أجل هذا لا يجوز إغفالها بحجة انها تنتسب إلى أمة دون أمة - أي انها عربية - فإذا كانت قد انطلقت من هذه الأمة ، إلا أنها أصبحت - شأنها شأن كل تراث - ملكاً للإنسانية جمعاء ، تستفيد منها .. لذلك ، لا يجوز لنا نحن ان نكفر على غيرنا عنايتهم بها ، كما لا يجوز لهم - بأي حال - ان يقصروا في حقها بحجة انها لا تنتمي إلى أممتهم ..

الأدوار الثلاثة ..

○ وعن الدور الحضاري لتراثنا المخطوط قال : إن هذا الأمر قد تناوله كثير من المؤلفين .. ويتلخص على النحو التالي :
● نقل التراث العلمي والفلسفي اليوناني إلى اللغة العربية ، ثم ترجمته ثانية إلى اللغة اللاتينية ..
هذا جانب واحد ، ويعتبر أقل الجوانب شأناً ، إلا أن العديد من المستشرقين المغرضين وقفوا عنده ولم يتجاوزوه ، واعتبروا أن التراث العربي ومخطوطاته القيمة لا أهمية لها إلا مجرد النقل والترجمة ، وهذا زعم خاطيء صادر عن الغرض والهوى .. ومن المؤكد أنه سيتضح بطلانه ، لأن الواقع يقول بعكس ذلك ، حيث امتد الدور إلى التصحيح

قبل المحاضرة ..

إن التراث الضخم من المؤلفات المخطوطة ، التي خلفها لنا أسلافنا ، في شتى نواحي العلوم والفنون ، مما لا نظير له عند أمة من الأمم .. يُعتبر بمثابة الجذور والأصول الثابتة لهذه الأمة في أغوار التاريخ ..
وللاسف الشديد ، فإن هذا التراث العظيم لقي الإهمال فترة طويلة من الزمن ، ونفائسه لا تزال مبعثرة في انحاء العالم ، لا ندري عنها إلا القليل ..
وقد آن لهذه الأمة ان تصحو ، وأن تأخذ بزمام المبادرة ، وتعيد هذا التراث - الذي لا يقدر بثمن - شيئاً من الاهتمام ، إن لم يكن كل الاهتمام ، فننفض عنه الغبار ، وتبعثه من جديد ..
وبذلك تتسق حركة إحيائه مع الصحوة الإسلامية التي تتبعث اشعتها في كل مكان ..

لقد تتلمذت أوروبا على هذه المؤلفات ، وظلت امدأ طويلاً تنهل منها ما يروي ظمأها ، ويزيل عنها غشاوة الجهل والظلمة .. الأمر الذي يؤكد أن حضارة الإسلام إنسانية في غاياتها ، بقدر ما هي إنسانية في منطلقاتها .. إنها حضارة ربانية أخلاقية - قبل أن تكون علمية ثقافية - بحكم انتمائها للإسلام الذي أنزله الله تعالى للناس كافة فضمّ بين جوانحه شعوباً مختلفة .. انصهرت في بوتقته ثقافتها .. وأشربت روحه وتعاليمه ، وكان لها بعد ذلك دورها ومساهماتها الفعالة في بناء صرح الحضارة الإسلامية الشامخ ..

□□□□□□



الدكتور ناصر الدين الأسد

عن المحاضر

- استاذ اديب وباحث اصيل ، تميّز ببحوثه الجادة والرصينة في الادب العربي . وفي اللغة العربي ..
- عضو مجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد وعمّان وحيدر اباد .
- المسؤول الأول في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . عن الثقافة العربية .
- المدير المؤسس للجامعة الاردنية .
- شغل منصب السفير لبلاده (الأردن) في المملكة العربية السعودية .
- رئيس ومؤسس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية بالأردن حيث يعمل الان ..

لكثير من هذا التراث اليوناني ، وهذا معلم في غاية الاهمية للدور الحضاري الذي أدّاه تراثنا ..

● ولم يقف الأمر عند التصحيح والترجمة .. بل تجاوزهما إلى الاستدراك وإكمال النقص ، والرد والرفض والنقض والتفنيد ..

إنه موقف إيجابي واضح ، وكل من يطلع على تراثنا العلمي يكتشف هذه الحقيقة ، فقد بذل العلماء المسلمون جهوداً كبيرة في محاولة تفهم هذا التراث اليوناني ، ثم وضعه في المرحلة الحضارية التي كانت الأمة الاسلامية تجتازها حينذاك .. أي لم يعودوا هم إلى الوراء ، وإنما انتقلوا بهذا التراث إلى زمنهم ، فنظروا فيه نظرة جديدة تماماً ..

● ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، بل تجاوزه إلى مرحلة أبعد . تتمثل بما قدمه المسلمون من إضافات - لم تكن موجودة أصلاً قبلهم - كالتطويرات والاكتشافات والاختراعات التي لم تعرفها اليونان قبل ذاك .. هذه كانت الادوار الثلاثة التي قام بها المسلمون إزاء العلم .. والمعرفة .. والحضارة الانسانية ..

الادب الجغرافي وثنائق تاريخية ..

- ثم تناول - الدكتور ناصر الدين الأسد - المجالات المختلفة لتراثنا المخطوط .. فقال :

— ... ولعل من المفيد أن نعرف هذه الحقيقة ، وهي أن الأمر في هذا التراث المخطوط لم يكن مقصوراً على معالجة علوم الفيزياء والرياضة والفلك والهندسة والطب - والتي أصبحت أسماء اعلامها من المسلمين مثل جابر بن حيان ، وابن

الهيثم ، والرازي ، وابن سينا ، وابن رشد - تمثل معالم بارزة في طريق التقدم الانساني . بل تجاوز الأمر كل ذلك إلى ميادين أخرى متعددة ، مثل الجغرافيا ، والرحلات ، والملاحة - طرقها وأدواتها ووسائلها - وكذلك الاكتشافات الجغرافية ، حتى أصبح بعض الادب الجغرافي العربي وثنائق تاريخية لا تملك غيرها بعض الشعوب - حتى الآن - لمعرفة حقب معينة من تاريخها ، كرسالة ابن فضلان في وصف رحلته وسفارته إلى بلاد ، الترك والخزر والروس والصقالبة . في مطلع القرن الرابع الهجري (٣٢٠هـ تقريباً) أي خلال الربع الأول من القرن العاشر الميلادي .. حتى أصبح علم الملاحة عند العرب منارة اهدت بها أمم كثيرة ..

ورسالة ابن فضلان هذه ، عرفت روسيا قيمتها ، وحققها علماءها أكثر من مرة ، وترجموها إلى اللغة الروسية . وحتى يوم الناس هذا ، لا يوجد كتاب واحد يؤرخ لتلك الحقبة في روسيا وما حولها إلا رسالة ابن فضلان ، يستخرجون منها التاريخ .

ثم تجاوز الأمر ذلك إلى تأثير الآداب والفنون العربية - وخاصة الشعر والموسيقى - في الآداب والفنون الأوروبية .. واعترف بهذه الحقيقة الاسبان والفرنسيون ، بما لا يدع مجالاً للشك ..

الخصائص .. والهوية ..

○ وي طرح الدكتور ناصر الدين هذا

التساؤل : هل استفد تراثنا أغراضه ؟؟ .. ثم

يجيب :

— لا يجوز لنا أن نقول : إن هذا التراث قد قام بأثره وحقق

منطلقات جديدة لحركة إحياء تراثنا المخطوط



○ النوازي

○ جابر بن

○ حنين

آل البيت بالأردن ، فيتناول طبيعة هذا المشروع وخطوات تنفيذه .. في سبيل فهرسة المخطوطات العربية وتسجيلها ، وتيسير الرجوع إليها بالنسبة للدارسين ، والباحثين ، والمحققين .. فيقول :

— يقوم هذا المشروع على خطوات أساسية ومرحلية هي :

* فهرسة المخطوطات على بطاقات البيانات التفصيلية عنها على طريقة (الببليوغرافيا) .

* طبع هذه البطاقات ، وترتيبها في مجاميع دورية ، بحيث يضاف ما يجد من بطاقات باستمرار ، دون اللجوء إلى تكوين ملاحق منفصلة .

* حفظ بيانات البطاقات في خازن للمعلومات (كمبيوتر) ، وربطه بعدد من محطات الاستقبال ، في المكتبات الرئيسية والمراكز العلمية ، التي ترغب في استقبال هذه الخدمة والاستفادة من هذه المعلومات في البلاد المختلفة .

* تأسيس عدد محدود من المراكز في بعض العواصم الاسلامية ، تجمع في كل منها أعداد من صور المخطوطات - الموثقة في العالم - على شريط مصغر (ميكروفيلم) أو على شرائح مصغرة (ميكروفيش) .. وتختلف فكرة الحفظ هذه عن الفكرة التي ينفذها معهد المخطوطات العربية وهي عبارة عن مخزن للأشرطة المصغرة المدونة في فهارس ، كما أنه ليس في ذلك ازدواجية أو تكرار على الإطلاق ..

والهدف من وراء ذلك أن كل مركز من المراكز المحدودة سوف يختص بميدان من ميادين المعرفة ، أو بمجموعة ميادين متقاربة في موضوعاتها ، بحيث يوفّر الباحثون والدارسون والمحققون جهودهم ووقتهم ، فيكتفون - في هذه الحالة - بالرحلة إلى مركز أو مركزين للاطلاع على بغيتهم في عواصم العالم الاسلامي ، في الموضوع الذي يبحثونه ، دون الحاجة إلى التنقل في أنحاء العالم أو الاتصال بعدد كبير من المكتبات للحصول على صور هذه المخطوطات .

وتعتمد المرحلة الأولى من العمل على كتاب « بروكلمان » - العالم الألماني - عن [تاريخ الأدب العربي] ، وكتاب العالم المسلم التركي فؤاد سيزكين عن

رسالته في الماضي وانتهى ، ذلك أن التراث العربي الاسلامي لا تزال قيمته ذاتية ، ولا يزال عطاؤه متجدداً .. وتوضيحاً لمعنى هذه العبارة .. سوف اتناول بالحديث مجالين يبرزان ضرورة استمرارية إحياء هذا التراث والتزود من منهله ..

- المجال الأول .. مجال العلم العالمي ، ذلك أن التراث يفيدنا كثيراً في معرفة تاريخ العلم والاحاطة بمراحل نشأته وتطوره .. وللأسف ، فإن هذه المادة - تاريخ العلم - قلما تُدرّس عندنا ، ولا يوجد لها إلا ذكر عابر ضئيل في مدارسنا وجامعاتنا ، بينما تلقى مادة تاريخ العلم عناية كبيرة في الجامعات الأجنبية ، لأن تاريخ العلم - كل على حدة - جزء أصيل من تفهم الحركة العلمية ومدى التطور في مادة العلم ذاتها ، ونحن بإهمالنا لهذه المادة قد نفينا عن أنفسنا جدارة الرسالة التي قمنا بها فعلاً - كأمة لها تاريخها وأصالتها وحضارتها ..

- أما المجال الثاني .. فهو مجال الصحوة التي تعيشها الأمة العربية والاسلامية في تلمسها أسباب نهضتها ووسائل تقدمها ، فإن هذا الأمر يتوقف على تمثلها لمقومات ذاتها وعناصر شخصيتها ، وعلى استكمال حلقات التعرف لدورها الحضاري الحقيقي ، الذي لا يزال ينكره بعضهم وينقص منه آخرون ..

إن تراثنا الذي تكوّن على مر التاريخ .. وتناقلته الأجيال ، قد برزت فيه الخصائص الفكرية والنفسية والحضارية التي تكون شخصية هذه الأمة .. ونحن الآن لا نزال بلا شخصية واضحة المعالم محددة القسمات ، بعد أن انفصلنا عن ذلك التراث ، ونحاول اليوم أن نتلمس معالم هذه الشخصية .. ولا حاجة بنا إلى التأكيد على أن حقيقة شخصيتنا موجودة في هذا التراث ..

من هنا كان للمخطوطات العربية الاسلامية هذا القدر وهذه القيمة الكبيرة بالنسبة لامتنا . إذا ارادت أن تتعرف على هويتها الأصلية ..

العلم الحديث في خدمة التراث ..

○ .. وهنا ، يطرح الدكتور ناصر الدين في محاضراته تفاصيل المشروع الذي يتبناه ويقوم به المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية - التابع لمؤسسة

□ الصحوة الاسلامية تفرض حركة متسقة لاحياء تراثنا المخطوط .. المبعثر في انحاء العالم .

□ العلماء المسلمون قدموا للعالم التراث اليوناني بعد ترجمته و تصحيحه والاضافة اليه وتمثله ونقله الى مرحلتهم الحضارية..

□ والمرحلة الثالثة : وتُعنى بإدخال المعلومات
والبيانات في خازن المعلومات (الكمبيوتر) .
□ ومرحلة أخيرة : تهتم بإنشاء المراكز المحدودة في
العواصم الاسلامية ، من أجل تيسير وتوفير
الحصول على نسخ من (ميكروفيلم) أو
(ميكروفيش) للمخطوطات .

الكليات ومصادر المال ..

○ وقبل ان يختم الدكتور ناصر الدين
محاضرته ، طمان المتخوفين على هذا
المشروع من ان يُجهض أو يتوقف في
منتصف الطريق .. شان كل عمل جليل عظيم
يُخشى عليه فقال :

— إن المجمع الملكي هيئة مستقلة ، قدمت له الحكومة
الأردنية منحة - كما تقدم لأي جامعة من الجامعات - وقد اشترى
المجمع مبنى من أربعة طوابق ، غير المبنى الجديد الذي
سيقيم به بإذن الله على قطعة أرض مساحتها ٢٥ ألف متر مربع ..
(وأضاف) :

... لقد اتجهنا اتجاهاً جديداً لضمان تمويل مشروعات هذا
المجمع في المستقبل ، فانشأنا وفقاً ينفق ريعه على هذه
المشروعات .. ومما هو جدير بالذكر ، وبالتقدير ، أن أحد
الأشخاص - لم تكن نعرفه من قبل ولم نسمع باسمه - قدم
مليون دولار تبرعاً منه ليكون نواة لهذا الوقف ثم قدم
- بالإضافة إلى ذلك - مائة ألف دولار سنوياً بصفة مستمرة
تخصص كجوائز للبحوث الممتازة وكممنح للدارسين
والباحثين .. ثم تابع غيره التبرع بمبالغ أخرى حتى بلغ ما لدينا
من أموال الآن مليونين ونصف المليون دولار .. وهذا المبلغ
سنستثمره - بإذن الله - بما يقره الشرع ، لننفق من الربيع على
أعمالنا - كما كان يفعل السلف الصالح - وبالله التوفيق .

■ .. ونعود في نهاية محاضرة الدكتور ناصر الدين الأسد
فنوجز النقاط التي تناولها على هذا النحو :

- القيمة الإنسانية للتراث العربي والاسلامي المخطوط .
- نقص العناية بهذا التراث في العالم أجمع ، وليس عندنا
فقط .

- محاولة تقديم تقديرات تقريبية لاعداد المخطوطات من
هذا التراث في العالم .

- عرض المشروع الذي يقوم به المجمع الملكي لبحوث
الحضارة الاسلامية لتسجيل وحفظ هذا التراث .

[تاريخ التراث العربي] . وذلك بترجمة ونقل البيانات
التي ذكرها كل من هذين العالمين في كتابه إلى اللغة
العربية ، وترتيبها وتسجيلها على بطاقات ، واستكمال
مختصرات أسماء الأشخاص والبلدان بذكرها كاملة ..
وتُسجَل بيانات كل مخطوطة على أربع بطاقات - على
الأقل - بأساليب مختلفة ، لتيسير عملية البحث ..

الأولى : خاصة ببيانات المؤلف .

الثانية : خاصة ببيانات مختصرة عن المخطوطة .
وعنوانها .

الثالثة : للموضوع والزمان .

والرابعة : خاصة بالمكتبة التي توجد فيها
المخطوطة ، تُرفق معها بطاقة مطابقة للبطاقة الثانية
(صورة منها) في مسلسل هجائي ، بحيث يمكن معرفة
مكتبة معينة من المحفوظات العربية ، كما يستطيع
المسؤول في مركز المعلومات إضافة بيانات كل مخطوطة
جديدة ..

وهناك بطاقة خامسة لتسجيل بيانات ما يطبع وينشر
من هذه المخطوطات .

وبطاقة سادسة تتضمن الحواشي والشرح
والردود .. وقد بدأ العمل بالفعل في المجمع الملكي
لبحوث الحضارة الاسلامية ، وتم إنجاز تسجيل معلومات
٢٤١٥ مخطوطة خلال شهرين اثنين .. وحين أقول بدأ
العمل فإنني أقصد المرحلة الأولى من العمل ، حيث إن
ما ذكرته سابقاً يعتبر من أعمال المرحلة الأولى والاساسية
بطبيعة الحال ، تليها عدة مراحل ليست بالضرورة متعاقبة ،
فقد نشر بمرحلة قبل سواها على غير ترتيب ، ولكن حسب
ما تقتضيه الحاجة وما تسمح به الإمكانيات :

□ المرحلة الثانية : وتتضمن إصدار البطاقات في
فهارس مطبوعة .

○ ابن سينا ○

○ ابن رشد ○

